نقد التقدم

عند جان جاك روسو

بحث مقدم من متطلبات
الحصول على درجة الماجستير في الآداب
من قسم الفلسفة بالزقازيق

مقدم من
حسن فهد موسي مصطفي شعيب

٢٠١٩

مقدمة

ولد روســـو (١٧١٢-١٧٧٨) فى العقد الثانى من القرن الثامن عشـــر فى مرحلة بدا فيها نور التنوير يخبو وعناصـر الرجعية الرومانسـية تزدهر، وكان ميلاده ثمرة زواج تعس، فهو كما يقول (ثمرة حزينة) لعودة حياة زوجية كانت قد انقطعت بهجران ابيه لامه، وقد ولد ضـعيفا مريضـا، وقد دفعت امه حياتها ثمنا لميلاده الذى كان كما يقول (فاتحة تعاسـته). ورباه ابوه الارمل الذى كان يرغمه على القراءة طوال الليل، فى قصـص الرومانسـية، وقد طبعته تلك الكتابات الرومانسـية بطابع لم يمحى طوال حياته. لقد شـكلت فيه ذكاء خاصـا واعطته انطباعات عجيبة ورومانسـية عن الحياة، تلك الانطباعات لم تستطع التجربة والتأمل أن يشفيه منها كما يقول (روسو)، وقد انعكست هذه الرومانسية على كل كتاباته، على مفهومه للإنسان الخير بطبيعته الذى افسدته التنظيمات الاجتماعية، وعلى نظرته لذاته (ان لم اكن افضل فإنني على الاقل مختلف).[١]

وعانى فى السنوات الاخيرة من حياته من عقدة شعور بالاضطهاد، ولابد انه كان يشعر فى بعض الاحيان بقرب من الجنون. لقد كان انسانا ذا مشاعر وعواطف مرهفة بصـورة غير عادية، وذا خيال واضـح ومشـاركة وجدانية دافئة. كان ينقصـه ضـبط النفس. فجاء سـلوكه الفعلى دون المثل السـامية التى ادعى تقديمها للعالم، والتى آمن بها بإخلاص. ومن الصفات التى تشفع له الامانة التى جعلته يعترف فى كتابه (الاعترافات) بضعفه وعيوبه ويغالى فيها.

ويقتنع روســو بإن الإنســان خير بطبيعته فدافعه الطبيعى للحفاظ على نفســه وتعاطفه مع الآخرين يكفلان له حياة منظمة جدا، أن لم يكونا بديلين عن شـــرور الحضـارة. ومع ذلك لم ينكر روسـو، فى تلك المقالات المبكرة، أن الحضـارة جلبت بعض المنافع، غير انه لا يجد طريقه عقلية للمحافظة على القيم واستئصال الشرور فى حياة مشتركة. لقد كان يرغب فى تحسين احوال المجتمع، غير انه لم يعرف كيف

[١] - W.T.Jones.Mastees of political Thought,Vol.2.George G.Harrap.London .1963.p220

يحدث ذلك. والنتيجة النهائية لتلك الاعمال هى اثارة عدم الرضا بالنظام الاجتماعي، واثارة رغبة غامضة فى العودة إلى "حياة الطبيعة".[1]

كيف خرج الإنسان من هذه الحالة الاولى؟ خرج منها اتفاقا بان عرضت له اولاً اسباب طبيعية، كالجدب والبرد القارس والقيظ المحرق، اضطرته إلى التعاون مع غيره من ابناء نوعه تعاونا مؤقتا كان الغرض منه الصيد براً وبحراً وتربية الحيوان لتوفير القوت. ثم اضطرتهم الفيضانات والزلازل إلى الاجتماع بصفة مستديمة، فاخترعت اللغة، وتغير السلوك، وبرز الحسد ونشبت الخصومة. هذا الاجتماع بنوعيه، المؤقت منه والمستديم، يمثل حالة التوحش، وهى ليست بعد الحالة المدنية، لأنها خلو من القوانين، وليس فيها من ردع سوى خوف الانتقام. وحدث اتفاقا أن استكشف الإنسان استعمال الحديد، وهو شرط الزراعة، والصناعتان شرط الحالة المدنية بما تقتضيان من تقسيم العمل والتعاون، اذ يستمد المزارعون الآلات الحديدية من صناعها ويعطونهم قوتهم. وتستتبع الزراعة تقسيم الأراضي، فيزداد التفاوت ويتفاقم الخصام. ويتفق الأقوياء الأغنياء على تدعيم مكانتهم فيضعون انظمة عامة تصون لكل ملكه وتوطيد السلام، ويذعن الفقراء الضعفاء لهذه القوانين كى يدفعوا الشر عن أنفسهم. هنا تبدأ الحالة المدنية المنظمة بالقوانين، وتثبت الملكية، ويتوطد التفاوت. وهكذا صار الإنسان الطيب بالطبع شريرا بالاجتماع وبما اتاحه له الاجتماع من تقدم عقلى وصناعى. وان قيام دولة يستتبع قيام اخرى، فتنشب الحروب.[2]

وتشبه آراء روسو فى الدين آراء فولتير ومؤلهة طبيعيين فرنسيين اخرين. فأدلته على وجود الله تذكرنا بأدلة المؤلهة الطبيعيين، وتذكرنا ايضا بأدلة ديكارت، وليبنتز، ولوك. ويمكن أن نعرض هذه الادلة بتصرف على النحو التالي: لا أستطيع أن اشك فى اننى موجود. وانا اعرف أن الاخرين موجودون كذلك، لأن أفكاري عنهم تأتى دون موافقتى. إنني أعى ذاتي من حيث انا موجود فعال وذكى مزود بإرادة حرة. وأي حركة لابد أن تكون معلولا لعلة. ولا يمكن للمادة أن تحرك نفسها بنفسها، ولابد

[1] - وليم كلى رايت : تاريخ الفلسفة الحديثة : ترجمة : محمود سيد احمد : المجلس الاعلى للثقافة ٢٠٠٥، ط٢: ص٢٣٨،٢٣٩
[2] - يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة : دار القلم بيروت ، ص١٨٤

أن تكون هناك إرادة تحرك الكون وتحرك كل مادة، وأعنى بها الله. وبالتالي يكون الله موجودا، ذا عقل، وقوة وارادة. غير إنني لا أستطيع أن اكتشف ماهية الله، ولا أقدم ادلة اخرى عليه غير الادلة التى اضطر لتقديمها من جهة ما يظهر لنفسي. ويحافظ الله على الكون وفقا لقوانين الطبيعة، ولا يقوم بمعجزات تخالف هذه القوانين. وليس الله مسئولا عن الشر، الذى يرجع إلى اختيار الإنسان الحر.... ويعتقد روسو أن قوة الله محدودة، ويستخدم هذا الاعتقاد بوصفه دليلا اضافيا لكى يبرأه من المسئولية عن الشر.[١]

روسو ضد الحياة المدنية:

هاجم روسو الحضارة وعارض بين العقل والعاطفة، وزعم أن التفكير يتلف احساس القلب الفطرى، واثر الحياة البدائية على حياة التفلسف والنظر العقلى. والإنسان عنده خير بفطرته ، يفسده التفكير ، وتتلفه الحياة الاجتماعية.

مفتاح فكر روسو ونظرياته المتعددة فى التربية، الاخلاق، الاجتماع، السياسة هى هذه العبارة. (كل شئ يخرج طيباً من يدى الخالق، ويفسد بيد الإنسان).

يقول روسو: "كان الريف شيئاً جديداً على، حتى انى لم أكن اسأم التمتع به، وقد شعرت حياله بحب بلغ من حيويته انه لم يخمد قط".

وسيستقر هذا الذوق فى نفس روسو، ويلازمه، ويكون احدى صفاته الجوهرية: سيواجه دائما بساطة الريف بفساد الحضر.

"ان بساطة هذه الحياة الريفية قد عادت على بخير لا يقدر بثمن".[٢]

كانت الطبيعة حبه والهامه الاول فى كل ما يكتب ويقول اما فيما يتعلق بشخصه فهو (طبع حاد، وعواطف حية جامحة، وافكار بطيئة التولد، مرتبكة لا تحضرنى الا متاخرة، حتى لكان قلبى وذهنى ليسا لشخص واحد ـــ فالشعور، وهو عندى اسرع من البرق، يملا نفسى، ولكنه بدلاً من أن ينير طريقى يحرقنى ـ ويبهرنى هذا البطء فى التفكير، المقترن بهذه الحيوية فى الشعور، لا يعترينى اثناء الحديث

[١] -وليم كلى رايت : المرجع المذكور ، ص ٢٤١

[٢] - Rousseau ; the confessions trans. By ,cohen penguin. Book 1.p.20

فقط، وانما يلازمنى فى وحدتى واثناء عملى، ذلك أن أفكاري تنتظم فى رأسي بصعوبة لا تصدق...)[1]

كتب روسو رسالته بشجاعة، وكانت آراؤه مبتكرة حديثة، فكتب ضد العلوم والفنون والآداب، وضد المجامع العلمية نفسها، فنال جائزة المجمع العلمي بديجون، مع انه كتب ضده، واخذ يهزا بأسلوبه الأدبي القوى بالغنى والثروة، والترف والحضارة والمدنية، وقال انها أصل الرذائل وفساد الاخلاق. وكانت كتابته مملوءة بالقوة والحرارة والعاطفة، خالية من المنطق والترتيب المنطقي. والحق أن هذه أضعف رسالة من رسائله إذا فكرنا فى المنطق والترتيب والنظام. ولا عجب فهو حديث فى الكتابة، والكتابة فن لا يستطيع الإنسان أن يجيده مرة واحدة.[2]

وبمعارضته الرأي المعروف وهو أن للعلوم والفنون والآداب كل الأثر فى إصلاح الأخلاق وتهذيبها اظهر قوته وذكاءه وقدرته على الابتكار والافتنان. تحتوي هذه الرسالة على اصول مبادئه وآرائه وعقائده التى اظهرها فى كتبه المختلفة فيما بعد. ومن تلك الآراء تعرف اخلاق روسو، وعداءه للتقاليد العادية، والترف والمدنية، والمظاهر الاجتماعية، ونظام الطبقات وعداءه لمن يعتدى على الحرية.

وفى الوقت الذي يعتقد فيه كل انسان أن للعلوم والآداب والفنون أثرا كبيراً فى تهذيب الاخلاق، نادى روسو أن لها كل الاثر فى افساد الاخلاق، وانتشار الرذائل، فناقض نفسه بنفسه، فهو بالعلم والادب والفن ارتقى، وارتفع من الحضيض ووصل إلى القمة، ولم يرجع إلى الوراء.

يقول روسو فى توضيحه الأثر السيئ للعلوم والفنون: "قبل أن يكيف الفن سلوكنا ويعلم عواطفنا التحدث بلهجة مصطنعة كانت اخلاقنا ريفية غليظة، ولكنها طبيعية... اما اليوم، وقد جعلت الابحاث البارعة والذوق الرفيع من فرط الاعجاب مبادئ، فتسود اخلاقنا وحدة وضيعة خادعة، ولم يعد أحد يجرؤ على الظهور على

---

[1] - ibid : book III.p.57

[2] - محمد عطية الابراشى : جان جاك روسو – المصلح الاجتماعى :دار احياء الكتب العربية ،القاهرة ١٩٤٦، ص٦٥،٦٦

حقيقته... لم تبق صـــداقة خالصـــة، ولم يبق تقدير حقيقي، أن الشـــكوك، والريب والمخاوف، والتحفظ والحقد، والخيانة... سوف تختفي دائما تحت قناع الادب الزائف.

إن الانحلال لأمر واقع، وما تقدمت العلوم والفنون يوما إلا وافسدت نفوسنا".

ويســتشــهد روســو بالتجربة والتاريخ على صــدق رؤيته. فيقول : أن مصــر، اليونان، الرومان، الصين كانت صافية وجميلة ثم اصابها الترف والانحلال والعبودية بعد أن اصـابتها عدوى المعارف الباطلة. الفنون تولد الرذيلة لانها تطيل الفراغ وتدفع إلى الترف وتنميه.

والعلاج الوحيد لهذا الفســـاد هو التخلى عن المدنية، والعودة إلى الطبيعة، التى هى المدار والبؤرة التى يشع منها فكر روسو الفلسفى.

"ان البشر خيرون اذا ما تركوا على سجيتهم الأولى".[١]

ولا يفهم من ذلك أن روسو كان معارضا للمدنية نفسها ولكن لما تسفر عنها من نتائج شريرة.

فى عام ١٧٥٤ كتب روسو رسالة عن (اصل التفاوت بين البشر)، فصل فيها الآراء التى جاءت بالرسـالة الاولى. قال فيها: "إن الإنسـان خير بطبيعته ولكن البيئة هى التى تجعل منه شــريرا، وارذل الشــرور فى هذه البيئة غير الطبيعية هى الملكية الخاصة".[٢]

يرى روســـو أن الطهارة والفضـــيلة، والأمانة والإخلاص لا وجود لها إلا فى العصـــر الذهبى، عصـــر الرجوع إلى الطبيعة، ذلك العصـــر الذى كانت فيه العلوم والفنون مجهولة، حينما كان الإنسـان يحيا حياة أولية بدائية، ويعيش معيشـة سـاذجة وقد زعم روســو أن الإنســان المتمدن لا يظهر كما هو، والمجتمع المتمدن لا يظهر بحقيقته. والإنســان المتحضــر ســيء الظن بغيره، قليل الثقة، كثير الخوف والحقد، كثير البغض والخيانة، ويخفى هذه الصفات كلها فى نفسه، ويتظاهر بالأدب والثقافة والعلم، وما هو بأديب ولا مثقف ولا عالم. وقد فسد خلقيا وادبيا. وقد ادعى أن بالعلوم والفنون تأخرت نصـر واليونان والرومان بعد تقدمها، وقل الخير فيها بعد بعد أن كان

---

[١] - Rousseau : by Leslie . F. Claydon .p.8

[٢] - ibid : p,30

كثيرا، وانتشـر الشـر بعد أن كان قليلا، وبدت بها علامات الضـعف والخلاف، وقد كانت مثلا للأخلاق والفضيلة قبل العلوم والآداب والفنون.[1]

والادب ذاته عنصر من عناصر الفناء:

يحكى أن الخليفة عمر حين سـئل فى أمر مكتبة الاسـكندرية وما يفعله بها أجاب: "واما الكتب التى ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنه غنى، وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليها فتقدم بإعدامها". وقد سـاق أدباءنا هذا الاسـلوب فى التفكير على انه بلغ غاية السـخف، ولكن لو أن البابا جريجورى الاكبر كان فى مكان عمر، والانجيل فى مكان القران، لاحرقت المكتبة رغم ذلك، ولربما عد هذا اروع عمل قام به فى حياته.

انظر إلى تاثير الفلسـفة الممزق فبعض (محبى الحكمة) هؤلاء يخبروننا بانه ليس هناك شـئ اسـمه المادة، وغيرهم يؤكدون لنا انه لا وجود لشـئ الا المادة وليس إله آخر غير الكون ذاته، وفريق ثالث يعلن أن الفضيلة والرذيلة ليستا سوى أسمين، وانه لا اعتبار لشـيء إلا للقوة والمهارة فهؤلاء الفلاسـفة يقوضـون أسـس إيماننا ويحطمون الفضيلة. انهم يسخرون من الكلمات القديمة التى نستعملها مثل الوطنية، والدين، ويكرسون مواهبهم لهدم وتشويه كل ما نقدسه غاية التقديس. ومثل هذا الهراء ما كان ليعمر فى العصـور القديمة بعد موت صـاحبه، أما الآن فبفضـل الطباعة ستبقى إلى الابد تأملات هوبز وسبينوزا المؤذية.

إذن فأي نتيجة ينبغي أن نخلص اليها؟ هى أن الترف والإسـراف، والرق، كانت فى جميع الاجيال سـوط على جهود كبريائنا للخروج من حالة الجهالة السـعيدة تلك التى وضـعتنا فيها حكمة العناية الالهية فليتعلم البشـر ولو مرة أن الطبيعة كانت تحميهم من العلم، تماما كما تخطف الام سلاحا خطرا من يدي ولدها.

والجواب عن سـؤال الاكاديمية العالمية هو أن العلم إذا تجرد من الفضـيلة كان فخاً، وان التقدم الحقيقى الوحيد هو التقدم الخلقي، وان رقى العلم قد أفسـد أخلاق

[1] - محمد عطية الابراشى : المرجع المذكور : ص٦٧

البشر أكثر مما طهرها، وان الحضارة ليست ارتقاء الإنسان إلى وضع أسمي، بل سقوطه من بساطة ريفية كانت فردوس البراءة والسعادة.[١]

روسو والهجوم على المسيحية:

ينطلق هجوم روسو على اية صفات خارقة يحاول القساوسة ادعاءها كالالهام والوحى. فهو وان كان يعتقد فى المسيحية إلا أنه يرفض الاعتقاد فى الكنيسة كمحكمة لله فى الارض، ومن ثم تكون لها سلطة إلى جانب سلطة الدولة.[٢]

يقول روسو : أن المسيحية كيان روحانى صرف لا تعنى إلا بالأمور السماوية، ووطن المسيحى ليس فى هذا العالم، والمسيحية تدعو إلى العبودية والاتكال، وان روحها تلائم الطغيان إلى حد كبير. وان المسيحيين الحقيقيين قد أعدوا لاحتمال العبودية، ودربوا عليها، بلا مبالاة، ما داموا لا يهتمون بما يجرى لهم خلال حياتهم القصيرة على الارض.[٣]

ويذهب روسو إلى القول بان المسيحية ضارة بالأمة، وفضائلها هى ذاتها رذائلها، ومن هنا نجده يحتقر الطابع اللإنسانى للمسيحية مؤكداً عدم اهتمامها بما هو دنيوي، لأنها تمنع أي ازدهار حقيقى للروح الحربية أو النضالية.

لذلك لابد من استبدال المسيحية بديانة أخرى قادرة على استيعاب البعد القومى والضروري للدولة.[٤]

من هنا دعا روسو إلى دين مدنى اجتماعى يفصل به بين السلطة الدينية والسلطة السياسية على نحو ما فعل اسبينوزا وهوبز من قبل.

ويرى روسو أن ارتباط الدين بالدولة يؤدى إلى التعصب أو عدم التسامح الدينى، اضافة إلى انه يقوم على أخطاء وأكاذيب، لأنه يخدع الناس ويجعلهم بلهاء يؤمنون بالخرافات، ويغرق عبادة الله الحقيقية فى طوفان من الطقوس الجوفاء، فيجعل الشعب لا يتنفس إلا القتل والمذابح.

---

[١] - ول ديورانت : قصة الحضارة – روسو والثورة الجنوب الكاثوليكى: ترجمة – فؤاد اندراوس : المجلد العشرون ٤٠/٣٩ ، مكتبة الاسرة ٢٠٠١ ، ص٤٢،٤٣

[٢] - Hill, Crislopher : Hobbes.T.and the Revolution in political thought.ed.by.jidith N .shklar.Macmillan Company.N.y.1968.p.39

[٣] - Rousseau.jj: the social Contract. Trns by . colo .D.H.N.y.1950.p.136

[٤] - ibid :138

ولا يبقى بعد ذلك سوى دين الإنسان أو المسيحية. المسيحية ليست كمؤسسة أو كنيسة، وانما مسيحية الانجيل التى تختلف عن المسيحية الاولى تماما.

بمقتضى هذا الدين المقدس السامي الحقيقى، يعترف الناس، وهم جميعا احباء نفس الرب، بان الجميع اخوة وان المجتمع الذى يؤلف بينهم لا ينحل حتى بالموت.

يقول روسو: دعنا نترك جميع الاعتبارات السياسية جانبا ونعود إلى موضوع (الحق). أن الحق الذى يضفيه الميثاق الاجتماعي على مقعد السيادة تجاه الرعايا، لا يتجاوز حدود المنفعة العامة مطلقا. ولذلك لا التزام على الرعايا بتقديم الحساب إلى مقعد السيادة عن آرائهم إلا فى حدود كون هذه الآراء تهم المجتمع.

صحيح انه مما يهم الدولة تماما أن يعتنق كل مواطن دينا يدفعه إلى حب واجباته، ولكن عقائد هذا الدين لا تهم الدولة ولا أعضاؤها، الا بقدر ارتباطها بالأخلاق والواجبات التى يجب على معتنقها أن يؤديها تجاه الاخرين. وفيما عدا ذلك، فان كل مواطن له أن يعتنق ما يشاء من الآراء.

هذه هى العقائد الايجابية. أما السلبية فإنني احددها بواحدة.. هى عدم التسامح.[1]

هذا هو الدين المدني الذى اقره روسو والذى دافع به عن الايمان بالله وحقوق الإنسان، وهذا ما نادى به كانط وغيره من فلاسفة التنوير، وهو كالدين الطبيعى، لا يعد دينا سماويا قائما على الوحى، وانما هو دين يستمع إلى صوت القلب كما يرتكز على حكمة العقل.

التقدم تدمير للإنسان:

أن الانقلاب الاكبر فى حياة الناس قد نجم عن انتشار الزراعة، واكتشاف التعدين، فقد نجم عن زراعة الارض تقسيمها وتوزيعها، ونشأ عن التعدين أن الناس الذين كانوا يعملون فوق الارض أصبحوا ملزمين بالعمل فى باطنها من جهة، ومرغمين من جهة اخرى على استبدال الطعام بالحديد، وأدى تفاوت الناس الطبيعي بالقوة والمهارة إلى تفوق اجتماعي مماثل فى تفوق الاقوى وسيطرة المهرة والاكفاء، فانطلقت الاهواء من معاقلها. وظل الأمر على هذا المنوال حتى شعر الناس يوما

[1] - ٢٦. جان جاك روسو : العقد الاجتماعى ومبادئ القانون السياسى، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت ١٩٧٢ ص٢٤٠

بأن مصلحتهم الخلاص من هذه الفوضى، ووضع حد لها، فقيدوا بقيود الحق ما كان مكتسبا بالقوة وحدها، واصطلحوا عندئذ على تثبيت القوانين وتنظيم المجتمع وهكذا، فبظهور فنون الزراعة والتعدين أصبح كل فرد فى حاجة إلى عون الاخر، واوضح التعاون بين الناس أن بينهم تفاوتا فى المهارة والقوة، فحظي الاقوى منهم بكمية أكبر من العمل، وأنتج المهرة منهم انتاجات أكثر، فظهر الغنى والفقير، وهما أصل كل اشكال اللامساواة.[١]

ان روسو يدعونا إلى العودة إلى الطبيعة، فلقد اوضح روسو فى كتابه (اميل أو فى التربية) أن الرجوع إلى الطبيعة هو الحكمة ذاتها. وان اول نقطة فى الاصلاح سواء اكان اصلاحا سياسيا أو اجتماعيا أو اخلاقيا أو صحيا أو تعليميا هى العودة إلى الطبيعة واتباع قوانينها.

أراد روسو أن يجد اسلوبا تربويا يحفظ على تلميذه (اميل) خصال البراءة والطهارة وفضائل حالة الطبيعة، فأوضح أن الإنسان فى حالة الطبيعة لا يرتبط بالناس بل بالأشياء، ومن ثم لابد من الحرص على بيان تأثير الاشياء وحدها وليس الافراد. ومن هنا استنتج روسو أن ارتباط الإنسان بالأشياء والذي يضمن حريته ويحفظها، يحتم على المشرعين أن يضعوا القانون فى الحالة الاجتماعية موضع الاشياء فى حالة الطبيعة، من غير أن يضعوا الإنسان موضع الاشياء، فاذا كانت قوانين الامم ثابتة مثل قوانين الطبيعة، وكان ثبوتها قويا لا يقهر، ولا يستطيع أى فرد تجاوزها والتغلب عليها، وصارت علاقة الناس بعضهم ببعض داخل المجتمع، كعلاقة أحدهم بالأشياء فى حالة الطبيعة، وهذا يعنى تحويل الإرادة الخاصة للأفراد إلى ارادة عامة واحدة تعلو على ارادات الافراد.

ولكن روسو يعود فى كتاب العقد الاجتماعي، ويرى أن معنى هذا ليس هدم المجتمع المتحضر، ولكنه يعنى بالضبط تلمس الطبيعة وقوانينها فى ثنايا المجتمع.[٢] وبمعنى اخر فقد رأى أنه من الاستحالة العودة إلى حالة الطبيعة بالنسبة للمجتمع المتحضر، فالعصر الذهبي للمساواة والعدالة هو حلم جميل، ولكنه لا يمثل أمنية

---

[١] - Dunning :political theories : ancient and medieval.book III.p.10

[٢] - ibid :p.13

قابلة للتحقيق، ومع ذلك يمكن أن نعتبر حالة الطبيعة كمعيار ثابت تصحح عن على أساسه حالة المجتمع المتحضر، وننطلق منه نحو بناء اجتماعي اقرب ما يكون إلى السلامة.

التقدم والتنوير والاغتراب عند روسو:

قام عصر التنوير على أفكار أساسية تتعلق بالعقل والطبيعة وتعلقت بأهم قضية، تمثلت هذه المهمة فى عملية التقدم، فالعقل كان هو الاساس الذى يقدم للبشرية كل ما تطمح اليه من امال، أى أن هذا العقل اعتبر السبيل الوحيد الذى يمكن الإنسان من السيطرة على الطبيعة وذلك عن طريق العلم.

لقد عجز الإنسان امام كل ما كان يؤمن به فيما مضى (مدينة الله) فى السماء خلال العصور الوسطى وكخضوعه للإرادة الالهية، اذ كان مستلب الارادة، تطارده الامور الدينية الغيبية فى كل مكان، لذلك حاول مفكري عصر "التنوير" اخراج الإنسان من حياته البائسة تلك، ولن يتحقق ذلك الا "بإعطاء تفسيرات جديدة عقلية للإنسان ولكل ما يحيط به حتى يكون محوراً لعملية التقدم ومحوراً للحركة التاريخية دون أن يكون خاضعاً لسيطرة الدين، والخرافات والعادات والتقاليد التى تحد من ارادته، ومن تحقيق رغباته وطموحاته، لذلك اتجه العصر التنويري جاهداً لصياغة مبادئ عقلانية لفرد.[1] حتى يسعى للتقدم بلا أدني خضوع لما كان يخضع له فى السابق وخاصة السلطة الدينية.

لقد ارتبط مفهوم العقل انذاك بنبذ الخرافات والاساطير أو بنبذ الثقافات السابقة أن صح التعبير، كثقافة القرون الوسطى ونظرتها للانسان والكون والطبيعة، لان هذه الاساطير والخرافات اعتبرت كعائق امام قدرات الإنسان الطبيعية وجعلته يعانى مدة طويلة من الزمن، من كل معالم الجهل والظلام، وانطلاقا من هذا كانت ارادة فلاسفة عصر التنوير تتجه نحو تنوير كل ما كان يسوده الظلام فى عقول البشرية والكشف عن الاقنعة المزيفة التى كان يرتديها رجال الدين.

[1] اندريه كرسيون : تيارات الفكر الفلسفى من القرون الوسطى حتى العصر الحديث :ترجمة : نهاد عبود ، منشورات عويدات ط٢، ١٩٨٢ لبنان ، ص٢١٦

ويتمثل التقدم فى تقدم العلوم والمعارف وفيما يؤدى اليه هذا التقدم كالتحكم الإنساني فى الطبيعة والسيطرة عليها حيث أصبح التفسير المفضل لدى المثقفين فى القرن الثامن عشـــر هو أن التقدم مرجعه أن يســـود العقل، أن يعمل التنوير على ما ييســـر للبشـــر التحكم فى طبيعتهم على نحو أفضـــل، لذلك فان التنوير اســـتند آنذاك على فكرة غزو الطبيعة والسيطرة عليها.

يبدو واضـــــحاً اكثر الربط التاريخى بين التقدم العلمى والتكنولوجى، وبين فكرة التقدم بالمعنى الأخلاقي والثقافي مع القرن الثامن عشـــر اذ كانت مجهودات العلماء ابتداءا من كوبرنيكوس ومرورا بنيوتن قد صـــــاغت مجموعة هائلة جدا من المبادئ العامة عن سـلوك الكون المادى، واصـبحت هذه المبادئ العامة معروفة لدى الجميع مع منتصـف القرن الثامن عشـر، ومثلما نعرف نحن الآن مبادئ النسـبية والميكانيكا، وبالإضـــافة إلى ذلك فقد بدا واضـــحا أن هذه المبادئ: "مبادئ نيوتن" العامة افضـــل واصدق، من بديلاتها لدى أسلافها فى العصور الوسطى، ومع منتصف القرن توضح نوع التقدم المادي إلى الحد الذى يدعو إلى الاعتقاد بأن الأيمان بالتقدم أصـــبح أقوي من العلم ذاته.

لقد غدا طموح البشرية الآن يتلخص فى أن يصبح أفضل وأسعد، وأقرب إلى المثل العليا التى تهدف اليها أفضل ثقافاتنا، وإذا حاولنا تعقب هذه الفكرة عن التحسن الأخلاقي ممثلة فى تبريرات موضـــوعية محددة، فلربما ســـنصـــطدم بشـــئ من نفس الغموض الذى كان يكتنف دائما الآراء المسـيحية عن الجنة، وربما نصـبح على بينة توضـــح الفكرة القائلة : أن مبدا التقدم لا يزيد عن كونه صـــورة حديثة لعقيدة الايمان بالأخرويات، ولسـوف يقودنا التقدم وفى الأصـل كما تقضـى فكرة القرن الثامن عشـر عن التقدم – سريعا خلال جيل أو جيلين – إلى حالة تعم فيها السعادة، ويغمر البشر سـعادة وينتفى الشـر، فغالبية من تحدثوا خلال القرن الثامن عشـر عن تقدم الإنسـان، وامكانية بلوغه نحو الكمال، انما كانو يفكرون بلغة قريبة جدا من لغة الاخلاق تشـابه لغات الاخلاق الدينية التى كانت تبشر بالسلام على الارض.

وان كـان هذا المفهوم فى هذه الفترة أو فى القرن الثـامن عشـــــر قد اتجـه نحو عملية غزو الطبيعة من أجل السـيطرة عليها، الا أن هذا يعتبر تفاؤلاً نتيجة لما حققته

العلوم الطبيعية من نجاح كبير خلال القرن السابع عشر، ونجاح تطبيق هذه العلوم على دراسة الطبيعة الإنسانية، بحيث أصبحت مناهج العلوم تمكن الإنسان ليس فقط من فهم ذاته، والقوانين التى تحكم سلوكه، بل تمكنه أيضا من تحسين حالته وظروفه الإنسانية عن طريق محاولة السيادة والسيطرة على الطبيعة الداخلية والخارجية والتحكم فيها وتوجيهها.

كما ارتبطت الفكرة الاساسية عن التنوير كذلك برؤية "آلية" وبرؤية اكثر مادية عن طريق العلوم الرياضية الدقيقة، واعتمادها المنهج الرياضى كأساس دقيق للتجديد، ولذلك اعتبروه مفكري الانوار "يحمل رؤية جديدة لوجود الإنسان، لكونه وجوداً قائماً على الحساب فى جوهره، لذا كان ضروري أن يكتسب الإنسان ويحمل تلك الرؤية العلمية فى حياته الاجتماعية والالتزامات السياسية، كاستخدام فلاسفة التنوير لمبادئ الادراك الحسى كسبل لرفض الحكم المطلق آنذاك، فاذا كانت الحواس هى اداة الحقيقة، وإشباع الحواس هو هو الدافع وهو الموجه الرئيسي للسلوك الإنساني، فان السعادة المادية للإنسان وتحقيقها هو الهدف الاول الذى لابد من أن تسعى وراء تحقيقه الدولة والمجتمع.[1]

الشئ الأساسي الذى يلفت انتباهنا هو موضوع الطبيعة البشرية، فكرة الطبيعة والتى هى بالأساس مكملة لفكرة العقل، ومرتبطة بها إلى الحد الذى لا يمكن أن نفصل بينهما، حيث أن الطبيعة تعنى.. مجموعة الاشياء المحسوسة المرتبطة ببعضها، كمشكلة الكون أو العالم المادي الذى يسير وفق قوانين منظمة ومتناسقة، ولذلك فان هذا العقل البشرى باستطاعته فهمها ودراستها دراسة علمية، لاستيعاب قوانينها العامة.[2] ولقد كان هلفيتيوس اكبر فيلسوف مادى فرنسي فى القرن الثامن عشر، يؤكد أن التطور المعرفي مشروط بقوانين، اذ يستند على اسباب معينة محددة، ومن هنا فان التطور الاجتماعي والفكري للبشرية يمكن تفسيره على اساس حاجاته

[1] - هربرت ماركيوز : العقل والثورة : ترجمة : فؤاد زكريا : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩القاهرة ، ص٣١٢،٣١٣
[2] - بول هزال : الفكر الاوروبى فى القرن الثامن عشر : ترجمة : محمد غلاب ، منشورات وزارة الثقافة دمشق ٢٠٠١، ص١١٨

المادية ،[1] اعتبرت هذه المحاولة من هيلفيتيوس، وان لم تلقى نجاحا الا انه حاول التأكيد على الدور الحاسم الذى يلعبه المجتمع فى حياة الفرد، داعيا إلى ضرورة أن يحل محله المجتمع الرأسمالي محل المجتمع الإقطاعي، ومادية هذا الفيلسوف لم تلقى نجاحا آنذاك (نتيجة الاستسلام) للوهم العلمى الذى كان يفرض قوانين علمية على الطبيعة كقوانين العلوم الطبيعية، إذ انفلتت خاصية الفكر المادي المحض.[2]

لذلك إعتبرت بوادر الفلسفة الفرنسية فى القرن الثامن عشر، براجماتية، لأنها كانت تهتدى وتهتم بالمنفعة، وهذا ما يبرز لنا أن فلسفة ذلك القرن ايدت التطبيقات التقنية لا كمعرفة، ولا بغرض استغلال الكون والطبيعة.[3]

كما أن المبدأ النفعى الذرائعى كان يظهر جليا منذ ميكيافيلى إذ ما يتعلق بالأخلاق الذرائعية النفعية كان جلى، فى مؤلفاته منذ أن نظر للجانب السياسي بطريقة براجماتية، حيث أن السياسة غايتها ليست مرتبطة بالفضيلة والخلاص الدينى، أو المدينة الفاضلة، أو مبادئ اخلاقية اخرى، والسياسة ستتجه بالاساس نحو الضبط والسيطرة، واخضاع المجتمع من اجل تحقيق الهدف السياسي.[4] وكانت هذه اللحظة حاسمة للتملص بين ما هو ديني وسياسى وأخلاقي، والانصراف من المسائل الإنسانية إلى كيفيات وتقنيات الحكم والتسيير، وراح النظام السياسي يماثل العلوم التجريبية بوضعه للتقنيات اذ ابتعد عن (ما يجب أن يكون)، لما هو كائن المتمثل فى تكنولوجيات وقوانين أجتماعية دورها الضبط والسيطرة.

ففى تلك المرحلة لم يتم التأسيس فقط للسيطرة على الطبيعة من خلال الوسائل، وانما سيطرة بعض الافراد على بعضهم الآخر، من خلال إجراءات وقوانين تعمل على الهيمنة تشكل ما يسمى بالسياسة.

وعلى مستوى الحداثة الغربية منذ عصر التنوير قامت أسس الفردانية (الأنا) و (العقلانية) و (العقل) معتمدة على العلم وفكرة التقدم، اذ لم تتمكن من تحقيق السعادة للفرد، لأنها قد اعادت أشكال الطغيان القديمة، كما أن سعيها وراء السيطرة

---

[1] - ج . بليخانوف : تطور النظرة الواحدية الى التاريخ : ترجمة : محمد مستجير ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٩، ص١٩

[2] - روجيه جارودى : كيف صنعنا القرن العشرين ، ترجمة : ليلى حافظ ، دار الشروق القاهرة ،ط٢، ٢٠٠١ ، ص٨٢

[3] - السابق : ص٨٣

[4] - ماكس هوركهايمر : بدايات فاسفة التاريخ البرجوازية : ترجمة : محمد على الدسوقى ، دار التنوير بيروت ط١ ، ١٩٨١، ص٢٨

على الطبيعة والافراد هو ما مهد لما حدث على مستوى الانهيار الحالي للرأسمالية، و تمثل الحداثة فى القطيعة البطيئة والحتمية بين الفرد والمجتمع والطبيعة.[1]

لذلك فالحداثة هنا تمثل الانفصال المتعاظم تدريجيا بين حال الطبيعة التى تتحكم القوانين التى يكتشفها ويستخدمها الفكر العقلانى، وبين (عالم الذات) وهى التى يختفى منها كل مبدأ متعال لتحديد الخير، والذى احل محله الدفاع عن الحق لكل انسان فى الحرية والمساواة، فالأنوار أرادت إزالت ضباب الماضى، من على المجتمع أولا، ثم بعد ذلك من على الساحات الاكثر اتساعا، بصورة تيار فكرى وتنظيم اجتماعى متعارضين، الأول رأسمالية، والثانى الروح البورجوازية، من جانب هناك الإنسان المتحرر من كل رباط اجتماعي والذى يخضع نفسه لانضباط صارم.

وبهذا فان الحداثة مزقت المقدس وكل ما هو الهى وطبيعى،.... لتحل محله العقلنة والعلمانية، فضلا عن ارجاع (العالم الأخر) إلى عالم لا يمكن للإنسان أن يبلغه، وتم الانفصال بين ذات اسقطت من السناء إلى الارض تتخذ مظهرا انسانيا وبين عالم موضوعات تحكمه التقنيات.[2] وانفصل الإنسان عن الطبيعة وعن المقدس وعن نفسه!

روسو التقدم والاغتراب الإنساني:

أن الحضارة الغربية بنيت على أسس قد تلغى غرائز الإنسان انطلاقا من السيطرة العقلانية على الطبيعة وعلى الذات.

ان جان جاك روسو كان يختلف عن سابقيه من الفلاسفة ومعاصريه فى كل شئ تقريبا، حتى وان كان يخوض فى نفس المسائل، فقد كان يعنى شيئا مختلفا عما هو سائد فى عصر التنوير، يقول جان جاك روسو فى بداية كتابه الاعترافات.. "أنا وحدى، فأنى أشعر بما فى قلبي، وانى اعرف الناس، فانا لم أظخلق على غرار احد ممن رأيت، وأجرؤ على الاعتقاد انه ليس فى الاحياء احد مثلى، فان لم أكن خيرا منهم، فانا على الاقل على غير ما هم عليه، الا بعد قراءة ما اكتب".[3]

---

[1] - الان تورين : نقد الحداثة : ترجمة : انور مغيث : المجلس الاعلى للثقافة القاهرة ١٩٩٧ ، ص٨٨

[2] - السابق : ص٢٣

[3] - جان جاك روسو : الاعترافات : ترجمة : خليل رامز سركيس ، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع ، بيروت ١٩٨٢، ص١٩

بهذا بدا روسو حركته الفلسفية الجدية كثائر على عقلانية التنوير التى اسست لأيديولوجيا الطبقة البرجوازية التى قادت الثورة الفرنسية، وأدى إلى قلب الفكر العقلانى فى القرن الثامن عشر وإعادة بناء فلسفة الثقافة التنويرية وتغيير مسارها.

اول ما اراد أن يؤسس عليه فلسفته هو أن الطبيعة البشرية حرة، اما النظام الاجتماعى المقيد لهذه الحرية فكان وليد البشر، فكيف تحافظ الحرية المنبثقة عن طبيعة الإنسان على نفسها فى المجتمع؟

لما كان للبشر طبائع حرة، ولما كانت الحرية لا تخضع للطبيعة، ولا للقوة فان الخضوع لأية سلطة إنما أساسه الاتفاق أي العقد، أن حالة الخضوع لفرد تعنى العبودية، أو (جماعة عبيد) و(سيد)، وليس مجتمعا، فالمجتمع يقضى وجود جسم سياسي، والعقد الاجتماعي هو الشرط الملازم للسلطة الشرعية، والمقدمة الضرورية لكل نظام سياسى طبيعى.[1]

يمكننا أن نرى فى مفهوم العقد الاجتماعي سواء بحضوره أو بغيابه، انه لا يشكل من حيث الجوهر إلا اغترابا للحرية الطبيعية، ففى حالة غياب العقد ثمة اغتراب قسرى، وفى حالة وجوده ثمة اغتراب طوعى، ثم وجود الضرورة فى الحالتين: الأولى ضرورة الرضوخ للتعسف الخارجى والثانية الحفاظ على المجتمع.

والاغتراب الطوعى ينطوى على استعادة الحرية الطبيعية فى شكل جديد هو (الحرية المدنية) والمساولة الضائعة تستعاد فى شكل مساواة أمام القانون، ذلك أن (الخضوع للقانون المرسوم هو الحرية).[2]

يفترض جان جاك روسو وجود حالة طبيعية فى البشر حيث يعيش الإنسان مع النظام الطبيعى مستسلما لشعوره وإحساسه، ويؤكد روسو فى مؤلفه (العقد الاجتماعى) ولد الإنسان حراً طليقاً، وهو فى كل مكان مكبلا بالقيود، فواحد يعتقد نفسه سيداً للآخرين، ولكنه اشد عبودية منهم.[3]

---

[1] - فيصل عباس : الاغتراب والإنسان والمعاصر وشقاء الوعى ، دار المنهل اللبنانى ، ط١ ، ٢٠٠٨، بيروت ، ص٣٢

[2] - ف . فغولين : فلسفة الانوار : ترجمة : هنرييت عبودى ، دار الطليعة بيروت ٢٠٠٦، ص٢١٨

[3] - جان جاك روسو : العقد الاجتماعى ومبادئ القانون السياسى ، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع ، بيروت ١٩٧٢ ، ص١٦

الإنسان عند روسو، لا يمكن أن يكون إنسانا طبيعيا الا فى ظل الحرية، وعند نزع الحرية عن الإنسان فهذا يعنى إلغاءاً لكل المعايير والمبادئ الاخلاقية من افعاله، كما أن نزع الحرية عن الإنسان من اجل السلطة المطلقة امر متناقض، فالملك من جهته لا يستطيع أن يفرض على الناس قيوداً لا نفع لها، ويقول كذلك فى نفس الخطاب بالفصل الرابع "بما انه ليس لإنسان من سلطان طبيعى على مثله، وبما أن القوة لا توجب أى حق، فان العهود تظل اساسا لكل سلطان شرعى بين الناس، ومن قول غروسيون أن الفرد اذا كان يستطيع بيع حريته فيصبح عبدا لسيد، فلماذا لا يستطيع شعب أن يبيع حريته ويصبح تابعا للملك ؟.[1] فالقوة لا تخلق وان كان روسو اول فيلسوف نادى بحرية الإنسان التى سلبت منه مع الزمن، فإنه أول من تعالت صرخته في اتجاه الحرية رافضاً لشتى أنواع الاسترقاق والاستعباد، وقد رفض كل تلك الآراء التى تؤكد على سيطرة بعض البشر، وأن البعض منهم (عبيد) والبعض منهم (سادة) فلا يوجد هناك فى خطاب روسو (عبيداً بالطبيعة) أو بالقانون الطبيعى، وفى المقابل لا يوجد هناك اسياد بالطبيعة، ويقول روسو : واذا كانت الحرب لا تمنح الغالب حق قتل الشعوب المغلوبة مطلقا، فان هذا الحق الذى لا يمكن أن يقيم حق استعباد، ولا يحق قتل العدو، إلا عند تعذر استرقاقه، وحق استرقاقه لا يأتي اذن، من حق قتله، وتعد مبادلته جائزة، أى تلك التى يحمل بها على شراء حياته بحريته، مع انه لا يسابق الغالب على الحياة، اذ الواضح انه يوقع ضمن دائرة مغيبة بإقامة حق الحياة والموت على حق الاسترقاق، وبإقامة حق الاسترقاق على حق الحياة والموت ؟ ويضيف يكون حق الاسترقاق باطلاً، لا لأنه غير شرعى فقط، بل لأنه مخالف للعقل، خال من كل معنى فكلمتا الاستعباد والحق متناقضتان ومتنافيتان.[2]

ويتفق روسو فى كتاباته المبكرة مع من سبقوه من فلاسفة العقد، فى استخدامه لمصطلح الاغتراب بمعنى التنازل أو التخلي، فهو يستخدم المصطلحين للتعبير عن استسلام الشخص للجماعة المحلية... ويقول روسو أن شروط العقد (يمكن تلخيصها

[1] - السابق : ص٣٥
[2] - السابق : ص٤٠

فى نهاية المطاف فى شــرط واحد، هو التنازل الكامل من جانب كل واحد عن جميع حقوقه للمجموع بلا أى تحفظ).[١]

كما يستخدم روسو مصطلح الاغتراب بمعنى يعطى أو يبيع، ولهذا يؤكد روسو انـه ليس من حق أحد أن يغترب عن حريتـه أو يجرد نفســـه منهـا، لانـه مهمـا يكن التعويض الذى قد يناله مقابل ذلك فانه لن يكون عوضاً عن الحرية التى لا يعوضـها شــئ، ويرى روســو أن باســتطاعة الفرد أن يتنازل أو يتخلى عن جزء من ثروته دون أن يعـانى الخزي، ولكن اذا تنـازل عن حريتـه لشـــخص آخر فـانـه يحط من قـدر وجوده.[٢] اما فى حالة تحويل السـيادة إلى سـلطة جماعية فى إطار المسـاواة الكاملة فان الاغتراب هنا يكون مقبولاً فضـــلاً عن كونه ضـــروري لوجود الجماعة، لان من يهب نفسه للجميع لا يهب نفسه لأحد.

وتمثل دراســة روســو لظاهرة الاغتراب أنضــج دراســة للظاهرة فى الفلســفة السياسية.

ويرى فرانك جونســون – بحق – أن مفهوم الاغتراب يتحول من خلال (كتابات) روســـو إلى مفهوم اجتماعى، فقد ارتكز فى تحليله وتفســـيره على علاقة الإنســـان بالطبيعة _ فقد كان مفهومه الأساسـي أن الإنسـان قد انفصـل عن طبيعته الخيرة من خلال الحياة فى وسط اجتماعي مصطنع وليس من خلال السقوط.[٣]

ويدرك روسو أبعاد ظاهرة الاغتراب بشكل لم يسبقه اليه أحد، فهو يشير إلى اغتراب الإنســـان عن الطبيعـة. هذه الفكرة التى تبدو فى نقده الاجتمـاعي لمجتمع المدينة فيقول.... "المدينة تفســد الإنســان، تفصــله عن الطبيعة، ففى عملية التمدن تسـير البشـرية نحو تصـحيح المجتمع على حسـاب النوع، هذا الشـكل المغترب للنمو الحضـرى يبرز التناقض بين المجتمع والجنس البشـرى، حيث تصـير حياة الإنسـان المتحضر من العبودية التى يولد ويعيش ويموت فيها".[٤]

---

[١] - روسو : العقد الاجتماعي : ص٩١

[٢] - ٤٦. Schacht : Alienation. George Allen…London.1972.p.197

[٣] - Johnson .F : Alienation : Overview and Intrccuetion ..n.New yourk.1973 .p.6

[٤] - روسو : العقد الاجتماعى ، ترجمة عبد الكريم احمد ، سلسلة الالف كتاب (٤١٩) ، ص٩١

ويشير روسو للأثار السلبية التى تحول الإنسان عن طبيعته الاصيلة، فيغترب عنها، ويتحول إلى انسان زائف، حيث تستبدل دوافعه وعواطفه منذ طفولته بنماذج مصطنعة من السلوك. وتمتد عملية الافساد من المدينة إلى الريف نتيجة لهيمنة المجتمع الحضري على المجتمع الريفى. ويسحق ركب الاغتراب سحر الطبيعة ويكرس التناقض بين المدينة والريف، حيث تجتذب الصناعة والتجارة رؤوس الاموال من الريف إلى المدينة، فتزداد المدن غنى ويزداد الريف فقراً.[١]

نظر روسو إلى الواقع الاجتماعي فوجد أن التمايز وانعدام المساواة هى علة ما تعانيه الشعوب من استعباد، واكتشف فى الملكية الرأسمالية حجر الزاوية فى بناء الظلم فى المجتمع. ورأى الحرية فى صميم الطبيعة وفى صميم طبيعة الإنسان، جبل الإنسان حراً، ولكنه يتحول إلى عبد من خلال النظام الاجتماعى القائم على الاستغلال، الناس يولدون أحراراً، وهم فى كل مكان فى قيود يولدون اخياراً، ولكنهم يتحولون من خلال المجتمع إلى أشرار.

وقد قام المجتمع المدنى على الملكية الخاصة حين زعم بعض الناس انهم يملكون أرضاً ووجدوا من يصدقهم. وحين زكى روسو العقد الاجتماعي فإنما فعل ذلك لان الناس يكونون أقوى حينما يتحدون، ولكن الحكومة السياسية المثالية فى نظره هى التى تمارس الحد الادنى من التدخل، وتترك الطبيعة تمارس عملها. وان الحكومة تستمد شرعية وجودها من انها تمثل الارادة العامة.[٢]

كما انه من أشد انواع الاغتراب التى يلتفت اليها روسو فى مؤلفه العقد الاجتماعى فى الفصل الرابع (العبودية) معبرا عن هذا النوع من الاغتراب هو ما يحمل معنى (بيع) و(شراء) فى حوار له مع جروتيوس، اذ كان الفرد يستطيع بيع حريته فيصبح عبداً لسيد، فلماذا لا يستطيع شعب أن يبيع حريته، ويصبح تابعا لملك ؟.. توجد كلمات مبهمة فى ذلك تحتاج إلى ايضاح، والواقع أن الإنسان الذى يجعل نفسه عبداً لآخر لا يمنح نفسه، وانما يبيع نفسه نيلاً لمعاشه أى من اجل بقائه.[٣]

---

[١] - Messares ,1 : Marxs Theory of Alienation .merlin press 1970.p.54

[٢] - James Bonar : Philosophy and political Economy , London.1967.p.186

[٣] -السابق : ص٣٥

والاغتراب Alienation يحدث فى المجتمع الرأسمالي حينما تفرض الصناعة والتقنية سلطتها على الفرد وطبيعته، ويؤدى ذلك إلى احداث فجوة بين انسان المدينة وانسان الريف، الإنسان البدائى والإنسان التاريخى، وكان هدف روسو هنا هو القضاء عن ما ينتج عن ذلك من شرور، والحل الوحيد هو التنازل عن التحضر لان الإنسان خير بطبعه، والإنسان البدائى كان يحيا فى سلام مع الطبيعة، متحاباً مع جميع الكائنات.[1]

وعادة ما تحدث العزلة أو الغربة عن الاخرين بطريقتين: الأولى أختيارية، بمعنى أن الإنسان قد يرتب، أو يساعد على تغريب ذاته عن الآخرين، وتغريب الآخرين له مثلما يفعل الراهب أو المتصوف، والأرستقراطي، والمثقف.[2]

موقف روسو من الطبيعة والحضارة:

لقد صب روسو كل اهتمامه نحو استيعاب وفهم الصفات الجوهرية التى يتميز بها الإنسان فى حالة الطبيعة، ولذلك كان عليه العودة لتتبع تاريخ الجنس البشرى لمعرفة كل ما هو مصطنع ومضاف إلى الطبيعة الاصيلة بفعل الحضارة والتاريخ، ويقول روسو فى خطابه أصل التفاوت بين الناس "لكننا ما دمنا على جهلنا بمعرفة الإنسان الطبيعى، فمن العبث أن نحاول تحديد القانون الذى أستمده هو من الطبيعة، أو ذلك الذى يلائم تكوينه أكثر من غيره.[3]

لقد تصور روسو حالة بدائية سابقة للتاريخ، عاشها الإنسان قبل أن يتشكل المجتمع البشرى، وان كان روسو قد اعترف فى خطابه اصل التفاوت بين الناس، بان معرفة الإنسان فى المرحلة البدائية أمر ليس بالسهل وهذا اعتبارا لما لحق الإنسان من تغيرات، إذ أصبح من الصعب أن يميز بين ما فيه من أصلى وطبيعى، وبين ما هو مكتسب عبر مرور الزمن، وهنا يتحدث روسو عن المسائل المتعلقة بالجوانب الروحية والاخلاقية، والحسية ولا يهتم بما طرأ من تغيرات على الجانب الفيزيولوجى، كما كان يهتم بعض الفلاسفة من قبل امثال ارسطو إذ يقول روسو :

---

[1] - يوسف عقيل عيدان : التنوير فى الإنسان ، الدار العربية للعلوم ، ط١، ٢٠٠٩ ،بيروت،ص٨٤

[2] - Schaar: Escape Fro, Authoritiy,Bassic Books inc New York Second Printing ,1961.p.317

[3] - جان جاك روسو : التفاوت بين البشر : ترجمة : بولس غانم ، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع ،بيروت ١٩٧٢، ص٣٠

لن أتتبع مراحل بنية الإنســـان فى مراحل نموها المتعاقبة... لن أبدأ بالبحث فى الجنين الأول للنوع البشـــرى بغية التوصـــل إلى إصـــدار حكم صـــحيح على حال الإنســانية منذ أصــلها، ولو أن هذا البحث له أهمية.. ولا أســال نفســي باحثا – كما كان يرى ارسطو – اكانت فقرات الإنسان مستطيلة فى أول الأمر؟[1]

يرى روسو أن الذى تغير فى البشرية هو، النفس البشرية، وأن الإنسان المدنى أو الإنسـان التاريخي، أو الإنسـان هذا الذى أمامنا، وصـل اليه بفعل الحضـارة، وهو إنســـان أفرزته الثقافة والحضـــارة، فهناك تغييرات طرأت عليه بفعل تغيير الأزمنة وتقلبات الأشياء، هذا الإنسـان وعلى هذه الصـورة يشـبه جان جاك روسو فى خطابه أصـل التفاوت بين البشـر بتمثال – جلوكوس قائلاً: ألم تر إلى تمثال جلوكوس الذى ألح فى تشـويهه البحر والزوابع حتى اصـبح اكثر شـبها بوحش ضـار، بإله معبود ؟ كذلك هى النفس البشــرية التى أحدث فيها تغييرا ذا اثر، فى وســط المجتمع اســباب وعوامل تتجدد بلا انقطاع، فالعوامل التى تغير الطبيعة فى تجدد وتزايد مســـتمر مع مرور الزمن ومع مواكبة الإنســان لظروف التحضــر، إذ راح الإنســان يفقد إنســانيته ويتخلى عن مبـادئـه وطيبتـه مع الزمن لـذلـك فلزامـاً علينـا أن نبحـث كيف انزلقـت الإنســانية من حالة الطيبة والبراءة والخير والمبادئ الســامية، وآلت إلى ما هى عليه أو صورته التى تمثل الإنسان المدني، التاريخى.[2]

لقد كان الفلاسفة يتفقون على أن هناك حالة سابقة لحالة الإنسان الاجتماعي أو المدنى إلا وهى المرحلة البدائية، البربرية، حيث اختلفت تســـميات هذه المرحلة على حسب نظرة الفلاسفة فى تلك الفترة، الا انهم كانوا يختلفون فى تحديد الطبيعة البشرية آنذاك.

فهناك فلاسفة أمثال هوبز مثلا عادوا إلى تلك الفترة من تاريخ البشرية، لكنهم لم يتمكنوا من فهم هذه الطبيعة وما تتميز به، وراحوا يصـــفونها بالأنانية، حيث كانت هذه النظرة الســـلبية هى جوهر فلســـفة توماس هوبز، معتقداً أن الحالة البدائية هى حالة حرب وصـــراع، ويتمثل مثل هذا الخطأ فى فهم الحالة البدائية فى ســوء طريقة

---

[1] - السابق : ص٣١
[2] - السابق : ص٢٦

دراسة الإنسان، وعدم وصولهم إلى ما يسمح لهم بالوصول إلى ذلك الإنسان ككل متكامل، من أحاسيس ومشاعر وهم بذلك لم يصلوا إلى الحالة الطبيعية وفهم الإنسان الطبيعى، ونجد روسو يؤكد على هذا بخطاب أصل التفاوت بين الناس قائلا : والفلاسفة الذين تولوا البحث فى أسس المجتمع أحسوا بضرورة الرجوع إلى حال الطبيعة، ولكن لم يصل اليها أحد منهم فبعضهم لم يتردد فى افتراض المام الإنسان، وهو فى تلك الحال، بما هو عادل، أو غير عادل، دون أن يقيموا الدليل على أن هذه الإلمامة كانت موجودة لديه، ولا أنها كانت مفيدة له، وتكلم بعضهم الآخر فى الحق الطبيعى الذى يملكه كل انسان بان يحتفظ بما يخصه، ولكنهم لم يبينوا ما يعنونه بكلمة – يخصه –.[١]

روسو والاغتراب بين الإيجابي والسلبي:

تمثل دراسة روسو لظاهرة الاغتراب أنضج دراسة للظاهرة فى الفلسفة السياسية.[٢]

تناول روسو الاغتراب بمعناه القانوني فى إطار نظريته فى العقد الاجتماعى وبمعناه النفسى الاجتماعي فى إطار نقده للحضارة. والفكرة عند روسو ترد بمعنيين، ففى العقد الاجتماعي يرد بمعنى قانونى وهو يعبر عن دلالة ايجابية... ولكن فى كتاباته النقدية يكون الاغتراب له دلالة سلبية. وروسو فى كتابه (العقد الاجتماعي) يستخدم الكلمة اغتراب ليصف بها العملية التى فيها يتنازل كل فرد عن ذاته للمجتمع من اجل التعاقد الاجتماعي، يصبح داخلا فى الكل. وعلى هذا فأن هذا الاغتراب يكون ايجابيا لأن التنازل يكون من أجل الصالح العام.[٣] وبهذا لا يجرى التفكير فى المجتمع على أنه وسيلة للقهر بل انه جهاز عضوى متولد من الاتفاق التلقائى بين اناس احرار ومتكافئين، انه وسطهم الطبيعى.[٤]

---

[١] - السابق : ص٣٥

[٢] - Stephen Koff :The Political Use of the concept of Alienation .. in Johnson.F.Alienation,new york.1973 ,p,276.

[٣] - Schacht : Alienation. George Allen…London.1972 . p.12

[٤] - اوجست كورنو : اصول الفكر الماركسى ، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، منشورات دار الاداب – بيروت ١٩٦٨، ص٢١

ويتفق روســـو مع هوبز في أن الاغتراب هو عمـل أختيـاري وأن الاعمـال الاختيارية انما تستهدف تحقيق صـالح من يقوم بها، وهو يمضـى من ذلك إلى القول بأن عملية التغريب لا تقوم لها قائمة حينما لا تخدم صـــالح من يقوم بها، ويتابع روسو وجهة نظره فيهاجم القول بانه من الممكن للناس تحويل السلطة السيادية على انفســـهم لفرد آخر، وكان جروتيوس هو الذى طرح وجهة النظر التى تركز حولها هجوم روسـو، ويذهب روسـو إلى القول بانه ما من شـئ قابل للمقارنة بهذا الذى يتم التنازل عنه يمكن اكتســـابه من خلال هذا التنازل ومن ثم فإنه ما من عملية نقل للسيادة يمكن أن تقوم لها قائمة وذلك بغض النظر عن رأى الأطراف المتعاقدة.[١]

ولم يكن فى وسـع روسـو أن يتوصـل إلى صـياغة إلى تعريف الاغتراب الذى يشـــير إلى الدلالة المزدوجة لو لم يكن قد خبر وعانى فى زمانه مشـــكلة الاغتراب بأبعادها وجوانبها المتداخلة والمتعارضـة. فالمعروف أن لروسـو تجربة ذاتية تكشـف هى نفسـها عن موقف نقدي كان قد اتخذه إزاء عصره ومجتمعه وما كان يشيع فيهما من أفكار وقيم زائفة، هذا الموقف الذى يظهر فيه روســو، أحياناً وكأنه ذلك (الغريب فى وطنه).

كتب روســـو فى اول صـــفحة من كتابه (الاعترافات): إنني لأقوم بمحاولة لم يسـبقني اليها أحد، وانجازها سـوف يعصـى على التقليد مسـتقبلاً. فأنا أريد أن أرى أخواني فى البشـرية إنســانا طبيعياً بحق. هذا الإنســان هو أنا، إني أنا وحدى. انى اعرف ما فى سريرتي وأفهم البشر. فانا لم اصنع مثل أي واحد. وقد لا اكون أفضل من أحد، لكنني على الأقل مختلف... لقد قمت فى هذا الكتاب بالكشـف عن وجودى الداخلى (جوانى) كما رأيته أنت، يا إلهي، أول مرة. فاللهم أنى أسألك أن تجمع حولى عددا لا يحصـى من أخواني البشر، واجعل منهم اذانا صـاغية لاعترافاتي، فيسـخرون من إهاناتي ويخجلون من خطاياي وفسـقي. واجعل كل واحد منهم يكشـف بدوره عنا فى قلبه تحت اقدام عرشك بنفس درجة إخلاصي وصراحتي فى المكاشفة.[٢]

---

[١] - Schacht : Alienation.op.cit.p.94

[٢] - د. محمود رجب : الاغتراب : منشاة المعارف – الاسكندرية ، الجزء الاول ،ص٦١

وهناك الاغتراب السلبى وهذا يتضح فى الكتابات النقدية لروسو وهو ناشئ من الحضارة والمدنية والتقدم والتى افسدت الإنسان فى رأى روسو.

يرى روسو أن الإنسان طيب بفطرته، وإنما الاجتماع الذى غشى على تلك الفطرة بما اوغل فيه من صور الحضارة، وبابتعاده عن الحال الطبيعية وامعانه فى ذلك حتى بلغ غاية التدهور فى القرن الثامن عشر. ولا سبيل لإصلاح هذا الفساد إلا بوقف تياره والعودة بالأخلاق والعوائد والقوانين، وكل ما فى الاجتماع سمومه ويرجع الإنسان طيبا بالطبع كما كان.[١]

والاغتراب بالمعنى السلبى يتضمن نقطتين:

الأولى يرى فيها روسو أن الحضارة سلبت (غربت) الإنسان ذاته، وجعلته عبداً خاضعاً للمؤسسات الاجتماعية التى أقامها، وبذلك لم يعد ذاته وإنما أصبح ذاتاً أخرى محددة بشكل يتم خارج إرادة الإنسان وعلى ذلك يكون الاغتراب هنا مرادفاً للتبعية أو أن شئت الدقة الخضوع.

اما النقطة الثانية، فيفرق فيها روسو بين حياتين للإنسان:

الأولى: هى حياة التناغم الفطري Original Harmony مع الطبيعة وفيها لم يعرف الإنسان الاغتراب.

الثانية: فهى الحياة المدنية الاجتماعية والتى يفقد فيها حالته الأولى، أى يفقد التناغم الفطرى مع الطبيعة. وهنا يحدث الشقاق بين ما ينبغى أن يكون عليه الإنسان وما هو كائن بالفعل. وفى هذا الانقسام تكون المعاناة والتعاسة. ومن هنا خلاف ما ساد عصر روسو من نظرة التفاؤل والتى سادت القرن الثامن عشر. فتركيز روسو على الاغتراب وضياع الذات الإنسانية أصابه بالتشاؤم. وهذه النظرة اثرت على فلاسفة المانيا خاصة ليسنج، وهيردر، وشيلر.[٢]

وبهذا يربط روسو بين مصادر الاغتراب ومظاهره، فيربط الظاهرة بتركز المال والثروة فى المدن، تلك النظرة لم تكن متاحة لأحد قبله.

---

[١] - د. محمد حسين هيكل : جان جاك روسو . حياته وكتبه ، دار المعارف ١٩٧٨، ص١٦٩

[٢] - Oskar Schaty and E.F. Winter :Alienation ,Marxism and Humanism,(in) Fromm (ed) : Socialism Hummanism Doubledgy &Company,inc,new yourk ,1965 ,p.320-321

ويتفق فلاســـفة العقد الاجتماعي على أن الاغتراب بمعنى التنازل عن الحرية الطبيعية لسلطة المجتمع السياسى، هو ثمن الأمن الاجتماعي الذي يتحقق للإنسان فى ظل المجتمع المدنى، حيث تقع مســـئولية توفير الأمن على الدولة، كما يقول روســـو... كل مواطن يكون حينئذ مســـتقلاً عن رفاقه، معتمدا بصـــورة مطلقة على الدولة، قوة الدولة... تؤمن حرية اعضائها.[١]

ان هدف الجماعة السياسية المنظمة هو حماية الإنسان من أى اعتداء محتمل عليه أو على ممتلكاته، وهذه هى الفكرة المحورية فى كل نظريات العقد الاجتماعي. وروســـو يدرك أن المجتمع الطبقى هو مجتمع مغترب، يغترب فيه الكادحون عن كل شـــيء حيث يجردهم الرأســماليون من كل ما يكون لديهم، وإذا كانت الدولة توفر لهم حماية أرواحهم فإنما تفعل ذلك لنفس الهدف التى تحافظ من أجله على سلامة ادوات الانتاج الاخرى، ليظل الجميع الآلات والناس الذين تحولوا إلى آلات – فى خدمة الطبقة الرأسمالية.

وهكذا نظر روسو إلى الواقع الاجتماعي فوجد أن التمايز وانعدام المساواة هى علة ما تعانيه الشعوب من استعباد، واكتشف فى الملكية الرأسمالية حجر الزاوية فى بناء الظلم فى المجتمع. ورأى الحرية فى صميم الطبيعة وفى صميم طبيعة الإنسان، جبل الإنســـان حراً، ولكنه يتحول إلى عبد من خلال النظام الاجتماعي القائم على الاســـتغلال، الناس يولدون أحراراً، وهم فى كل مكان فى قيود، يولدون اخيارا ولكنهم يتحولون من خلال المجتمع إلى أشرار.

وقد قام المجتمع المدنى على الملكية الخاصـــة حين زعم بعض الناس أنهم يملكون أرضـاً ووجدوا من يصـدقونهم. وحين زكى روسـو العقد الاجتماعى فإنما فعل ذلك لان الناس يكونون أقوى حينما يتحدون، ولكن الحكومة الســـياســـية المثالية فى نظره هى التى تمارس الحد الادنى من التدخل، وتترك الطبيعة تمارس عملها. وأن الحكومة تستمد شرعية وجودها من أنها تمثل الإرادة العامة.[٢]

---

[١] - Nisbet ,R:The Socil philosophers and confliet in western thought,Heinemann,London,1974,p148

[٢] - James Bonar : Philosophy and political economy,london george allen,1967,p.187

يتضـــح الآن أن الاغتراب عند روســـو، ذو دلالة مزدوجة: الاغتراب بمعنى البيع (الدلالة السلبية) والاغتراب بمعنى التسليم أو التنازل (الدلالة الإيجابية). يرفض الاغتراب بالمعنى الأول، لأن الإنســـان الذي يبيع نفســـه فى مقابل مبلغ من المال انسـان ينظر إلى نفسـه كما لو كانت "شـيئاً" أو "سـلعة" ذات قيمة معينة فى السـوق، كما انه يتحول إلى مجرد اجير مرتزق. أن يقدم الإنسـان نفسـه فى سـبيل هدف نبيل، كان يضـــحى بنفســـه دفاعاً عن وطنه، فهذا امر مقبول ومطلوب. وفى ذلك يقول روسـو: "إن جميع انتصـارات الرومان الاوائل، مثل انتصـارات الأسـكندر الأكبر فقد تمت على أيدي مواطنين شـــجعان كانوا مســـتعدين، فى وقت الحاجة، للبذل وفقدهم دمائهم فى خدمة وطنهم لكنهم لم يبيعوا على الأطلاق".[1]

والتسـاؤل الأن هل يمكن القضـاء على الاغتراب الذاتي عند روسـو؟ يرى روسـو أنه إذا كان المجتمع الحديث الذى يقوم على اللامسـاواة، الناشـئة أصـلاً عن الملكية الخاصـــة، قد أدى إلى انفصـــال الناس عن الطبيعة واغترابهم عن ذواتهم...فمن الممكن القضـاء عليه اذا ما قضـى على الملكية.. ولكن هذا لا يكون الا بالحكومة أو الدولة. وعلى هذا النحو تغدو الدولة بالنسـبة إلى الفرد كيانا اسـاسـياً أو مجالاً حيوياً لأغنى عنه.[2]

ويعبر جرودنز عن الاغتراب بأنه الحالة التى لا يشـــعر فيها الأفراد بالانتماء إلى المجتمع أو الأمة حيث العلاقات الشـــخصـــية غير ثابتة وغير مرضـــية...[3] فقد كان الفرد فى الماضـــي يرى نفســـه عضـــواً فى عائلته أو جماعة أو حزب أو طائفة، أما الأن فيرى نفســـه مســـتقلاً ومنفصـــلاً. فالإنســـان الحديث محوط بالآخرين، ولكنه وحيد بينهم، لأن صـلته بهم واهية وسـطحية ورسـمية، واحتكاكه بهم تصـادمي وكونه قريباً من الآخرين وبعيدا عنهم فى الوقت ذاته، يزيد من شـــعوره بالوحدة فالمســـافات النفســـية الاجتماعية متباعدة برغم المســـافة الجغرافية. وكون الإنســـان وحيد ومعزولاً يسـهل تغييره وتهديمه، الفرد بمعزل عن جماعته مثل سـلحفاة فقدت قشـرتها الصـدفية. على حد تعبير هتلر.

---

[1] - د. محمود رجب : الاغتراب ، ص٨٢

[2] - السابق : ص٨٣-٨٥

[3] - Morton Grodnyins :The loyal and the Disloyal,university of chiccogo press,1956.p.134

وهناك تعريف يحدد الاغتراب بانه النفور من الذات، بمعنى أن الإنسان لا يستمد الكثير من العزاء والاكتفاء الذاتي من ألوان النشاط الذي يقوم به. ويفقد صلته بذاته الحقيقية، ويصبح مع الزمن مجموعة من الأدوار والسلع، ولا يتمكن من أن يكون نفسه إلا فى حالات نادرة.[1]

وهذا المعنى يورده فروم يعبر عن صورة العزلة عن الآخرين.. انه شعور بالغربة تجاه الآخرين وعدم القدرة على الانفتاح تجاههم. أو هناك هوة سحيقة تفصل بين الذات والاخرين وهذا هو عين ما كان جان جاك روسو يعاني منه. يقول فى اعترافاته: "لقد كشفت عن أعمق اغوار نفسي، كما كنت انت تراها، ايها الخالد السرمدى (الله) فأجمع حولي الحشد الذي لا حصر له من ابناء جنسى، ودعهم يصغوا إلى اعترافاتى، فيرثوا لخستى، ويخجلوا لمثالبى. ثم ادع كلا منهم إلى أن يكشف بدوره.. وبعين الصراحة – اسرار فؤاده، عند قوائم عرشك وليقل أن جرؤ : لقد كنت خيرا من ذاك الرجل".[2]

"ولقد كان يمتزج بكل هذا الشعور بالإشفاق على نفسى، اذ شعرت بأنني أموت، وكنت اؤمن بأنني اودع العالم للمرة الاخيرة !! وبدلا من أن أخاف الموت، رحت ارقب اقترابه بغبطة، ولكنني كنت أحس بالحسرة، لأنني كنت أفارق أبناء جلدتي دون أن يكونوا قد شعروا بقيمتي وقدرى.. دون أن يدروا كم كنت جديراً بأن أحظى بالحب منهم.[3]

تعقيب:

يتبين لنا من خلال موقف جان جاك روسو من فكرة التقدم، وكيف أن ندعيه من تقدم وتنمية وحضارة وتكنولوجيا ومدنية... كلها تقف فى وجه الإنسان وتحطم فيه الجانب الإنساني... لقد فقد الإنسان ذاته ودخل إلى مصيدة الاغتراب... ورأينا كيف تناول روسو فكرة الاغتراب من الناحية الايجابية والناحية السلبية، وتعد فكرة الاغتراب عند روسو من الافكار الأساسية والحيوية والهامة التى يستخدمها فى توضيح دور المدنية فى تدمير الإنسان وجعلته يشعر بالشقاء والتعاسة.. رأينا أيضا

---

[1] - E,Fromm : The sane society ,new yourk.1955/p.33

[2] - جان جاك روسو : الاعترافات : ترجمة : محمد بدر الدين خليل ، ط١ ، ١٩٨٥ دار طلاس ، دمشق ، ص٢٣

[3] - السابق : ص١١٣٩

من خلال ما سبق.. موقف روسو الهجومى على الدين المسيحى.. فهو يعمل ايضا على زيادة العبودية والخنوع ويفقد الذات الحرية... وكل ذلك يعمل على تدمير الإنسان ويدمر فيه الجانب المبدع والخلاق. ما نراه أن التقدم فى رأى روسو هو امر سيء.. ويتمنى أن يعود الإنسان مرة اخرى لحالته الأولى.. ولكن ذلك الامر بالطبع غير ممكن.

المراجع العربي:

١. الان تورين : نقد الحداثة : ترجمة : انور مغيث : المجلس الاعلى للثقافة القاهرة ١٩٩٧
٢. اوجست كورنو : اصول الفكر الماركسى، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد، منشورات دار الآداب – بيروت ١٩٦٨
٣. بول هزال : الفكر الاوروبى فى القرن الثامن عشر : ترجمة : محمد غلاب، منشورات وزارة الثقافة دمشق ٢٠٠١
٤. ج. بليخانوف : تطور النظرة الواحدية الى التاريخ : ترجمة : محمد مستجير، دار الكتاب العربى، القاهرة ١٩٦٩
٥. جان جاك روسو : الاعترافات : ترجمة : خليل رامز سركيس، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت ١٩٨٢
٦. جان جاك روسو : الاعترافات : ترجمة : محمد بدر الدين خليل، ط١، ١٩٨٥ دار طلاس، دمشق
٧. جان جاك روسو : التفاوت بين البشر : ترجمة : بولس غانم، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع ،بيروت ١٩٧٢
٨. جان جاك روسو : العقد الاجتماعى ومبادئ القانون السياسى، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت ١٩٧٢
٩. روجيه جارودى : كيف صنعنا القرن العشرين، ترجمة : ليلى حافظ، دار الشروق القاهرة ،ط٢، ٢٠٠١
١٠. روسو : العقد الاجتماعى – الفصل الثامن من الكتاب الرابع
١١.
١٢. ف. فغولين : فلسفة الانوار : ترجمة : هنرييت عبودى، دار الطليعة بيروت ٢٠٠٦
١٣. فيصل عباس : الاغتراب والإنسان والمعاصر وشقاء الوعى، دار المنهل اللبنانى، ط١، ٢٠٠٨، بيروت

١٤. ماكس هوركهايمر : بدايات فاسفة التاريخ البرجوازية : ترجمة : محمد على الدسوقى، دار التنوير بيروت ط١، ١٩٨١
١٥. محمد حسين هيكل : جان جاك روسو. حياته وكتبه، دار المعارف ١٩٧٨،
١٦. محمد عطية الابراشى : جان جاك روسو – المصلح الاجتماعى :دار احياء الكتب العربية،القاهرة ١٩٤٦
١٧. محمود رجب : الاغتراب : منشاة المعارف – الاسكندرية، الجزء الاول
١٨.
١٩, هربرت ماركيوز : العقل والثورة : ترجمة : فؤاد زكريا : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩القاهرة
٢٠.
٢١. وليم كلى رايت : تاريخ الفلسفة الحديثة : ترجمة : محمود سيد احمد : المجلس الاعلى للثقافة ٢٠٠٥، ط٢
٢٢. يوسف عقيل عيدان : التنوير فى الإنسان، الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠٠٩ ،بيروت
٢٣. يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة : دار القلم بيروت

المراجع الاجنبية:

١. Dunning :political theories : ancient and medieval.book III.
٢. E. Fromm : The sane society ،new yourk.1955
٣. Hill, Crislopher : Hobbes.T.and the Revolution in political thought.ed.by.jidith N.shklar.Macmillan Company.N.y.1968.
٤. Johnson.F : Alienation : Overview and Intrccuetion..n.New yourk.1973
٥. R. Nisbet :The Socil philosophers and confliet in western thought,Heinemann,London,1974
٦. Oskar Schaty and E.F. Winter :Alienation،Marxism and Humanism,(in) Fromm (ed) : Socialism Hummanism Doubledgy &Company,inc,new yourk،1965
٧. Rousseau : by Leslie. F. Claydon.
٨. Rousseau ; the confessions trans. By،cohen penguin. Book
٩. Rousseau.jj: the social Contract. Trns by. colo.D.H.N.y.1950.

.١٠ Schaar: Escape Fro, Authoritiy,Bassic Books inc New York Second Printing،1961.
.١١ Schacht : Alienation. George Allen...London.1972 .
.١٢ Stephen Koff :The Political Use of the concept of Alienation.. in Johnson.F.Alienation,new york.1973
.١٣ Torrey,N.L.: Voltaire,Article in "The Encyclopedia of philosophy",vol.8
.١٤ W.T.Jones.Mastees of political Thought,Vol.2.George G.Harrap.London.1963.